موعظة بعنوان:

(فضيلة ليلة القدر)

الحمد لله على إحسانه, والشكر له على توفيقه وامتنانه, حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه ,والصلاة والسلام على عبده ورسوله ,وعلى آله وأصحابه وإخوانه .

أما بعد:

فيقول ربنا في كتابه الكريم: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِين}[الدخان:3] .

هذه الليلة المباركة هي ليلة القدر ,وصفها المولى جلَّ وعلا بأنها مباركة ,وفيها بركة , فمن بركتها أن الله تعالى أنزل فيها القرآن, ومن بركتها أن الأعمال فيها مباركة,والأجور مضاعفة, فإن العمل الصالح فيها خير من ألف شهر, أي: خير من ثلاثٍ وثمانين سنة , قال تعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الملاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[القدْر:1-5]

بيَّن الله سبحانه وتعالى في هذه السورة شرف ليلة القدر وأنزل في شأنها سورة تتلى إلى قيام الساعة.

ومن فضلها أن الملائكة بما فيهم جبريل ـ عليه السلام ـ يتنزلون في تلك الليلة المباركة إلى الأرض كعدد الحصى.

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: " لَيْلَةُ القدر ليلة سَابِعَةٍ ـ أَوْ تَاسِعَةٍ ـ وَعِشْرِينَ، إِنَّ الملاَئِكَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي الْأَرْضِ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الْحَصَى ".

ومن فضلها أن مقادير السنة تقدر في تلك الليلة, قال تعالى: {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيم * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِين }[الدخان:4-5]

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: أَيْ: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُفْصَلُ مِنَ اللَّوْحِ المحْفُوظِ إِلَى الْكَتَبَةِ أَمْرُ السَّنَةِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْآجَالِ وَالْأَرْزَاقِ، وَمَا يَكُونُ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا. اهـ

فهي ليلة مباركة , عظمها الله وعظم أمرها,وذلك بتكرار ذكرها بصيغة السؤال فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} وهذا على سبيل التعظيم والتشويق لخيرها.

فإن قيامها والعمل الصالح فيها من صلاة وذكر واستغفار وقراءة للقرآن خير من عبادة ألف شهر,أي : ما يقارب بضعاً وثمانين سنة ,فمن وفقه الله لذلك فقد حاز الخير كله ,ومن حرم خيرها فقد حرم خيرًا كثيرًا.

فقدروى ابن حبان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رضي الله عنه ـ، قَالَ دَخَلَ رَمَضَانُ، فَقَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ».

قوله:{ تَنَزَّلُ الملاَئِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا }:

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: أَيْ: يَكْثُرُ تَنزلُ الملَائِكَةِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ لِكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا، وَالملَائِكَةُ يَتَنَزَّلُونَ مَعَ تَنَزُّلِ الْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ، كَمَا يَتَنَزَّلُونَ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَيُحِيطُونَ بحِلَق الذِّكْرِ، وَيَضَعُونَ أَجْنِحَتَهُمْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِصِدْقٍ تَعْظِيمًا لَهُ. اهـ .

"والروح فيها": وهو جبريل عليه السلام.

وقوله:" بإذن ربهم من كل أمر":

قل المفسر البغوي ـ رحمه الله ـ: أي بكل أمر من الخير والبركة كقوله تعالى: { يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ}[الرعد:11] .

وقوله:{سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}

قال البغوي: قَالَ عَطَاءٌ: يُرِيدُ سَلَام الله عَلَى أَوْلِيَائه وَأَهْلِ طاعته.

وقال الشَّعْبِيُّ: هُوَ تَسْلِيمُ الملَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَى أَهْلِ المسَاجِدِ مِنْ حين تَغِيبُ الشَّمْسُ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الفجر.

و قال الكلبي: الملائكة ينزلون فيها كُلَّمَا لَقُوا مُؤْمِنًا أَوْ مُؤْمِنَةً سَلَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

وَقِيلَ: تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: "بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ" ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: سَلامٌ هِيَ، أَيْ لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ.

قَالَ الضَّحَّاكُ: لَا يُقَدِّرُ الله فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَلَا يَقْضِي إِلَّا السَّلَامَةَ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَعْنِي أَنَّ لَيْلَةَ الْقَدْرِ سَالِمَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ الشَّيْطَانُ أَنْ يَعْمَلَ فيها سوءًا، وَلَا أَنْ يُحْدِثَ فِيهَا أَذًى. حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ، أَيْ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرَ. اهـ.

وليلة القدر ليلة كاملة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الصادق لقوله تعالى: { حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ } ,وليس كما يفهمه بعض العامة أنها دقائق أو كلمح البصر.

فمن وفقه الله وقامها غُفر له ما تقدم من ذنبه,فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: « مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».

ومعنى قيام ليلة القدر: أحياؤها بالعبادات من صلاة, وذكر, واستغفار, ودعاء, ونحو ذلك, وليس قيامها بالسمر فيها على المحادثات, وليس المقصود بقيامهاعدم النوم فيها بدون عبادات كما يفعل البعض , فمن سمر فيها ولم يتعبد لله بشيء لم يقمها ولم يظفر بأجرها , وأسوأ من هذا من يسمر في ليلة القدر على المعاصي من أكل القات,والتفكه بالتمثيليات, والنظر إلى النساء في المسلسلات, واستماع الأغنيات , فليست المعصية في ليلة القدر كالمعصية في غيرها فهي أشد من غيرها لحرمة ليلة القدر وشرفها .

فمن وفقه الله لقيام ليلة القدر فقد أوتي خيرًا كثيرًا, ومن حرمها فقد حرم خيرًا كثيرًا, ولا يحرم خيرها إلا محروم .

وأفضل سبيل لالتماسها هوما فعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وداوم عليه حتى توفي, وهو الاعتكاف , فقد اعتكف حتى توفاه الله ,وفي العام الذي قُبضَ فيه اعتكف عشرين يومًا, واعتكف أزواجه من بعده , فكيف يفرِّط المسلم بشيءٍ لم يتركه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ منذ دخل المدينة إلى أن مات؟!

وأرجى ما تكون ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان فإنها لا تخرج عنها , وأرجى ما تكون في الليالي الوترية ولا يمنع وقوعها في ليالي الشفع فلينتبه لذلك , وأرجى ما تكون في السبع الأواخر , وأرجى ما تكون في ليلة سبعٍ وعشرين , فقد ثبت مجيئُها في ذلك كله .

ومن علاماتها لمن أراد أن يستبشر بقيامها: أن تصبح الشمس صبيحتها حمراء لا شعاع لها , وهي ليلة هادئة ساكنة, وسماؤها صافية بلجة نيرة, كأنَّ فيها قمرًا ساطعًا, وقد يصحبها نزول مطر, لكن ليست هذه العلامة مطردة ,فقد ينزل مطر في ليلة القدر وقد لا ينزل.

فمن وُفِّق لقيامها فقد فاز بأجرها , وإن لم يعلم بمجيئها , وإنما الشأن أن من علمها برؤية علاماتها أن يستبشر بها ويجتهد في قيامها ويكون ذلك أنشط له وأبعد عن الغفلة . فننصح بالاجتهاد في العشر الأواخر كلها فهذه هي الحكمة من إخفائها ليجتهد الناس في العشر الأواخر جميعها , نسأل الله أن يوفقنا لقيامها إيمانًا واحتسابا.